الباب الثالث

الفصل الأول: كيفية التعامل مع الأخلاق

ترويض الأخلاق
نسبية الأخلاق

الفصل الثاني: منظومة تربية القيم والأخلاق

كيف نتعلم الأخلاق
كيف نعلم أطفالنا الأخلاق
كيف نقيم صرح الأخلاق

ترويض الأخلاق

إن المقصود في هذا المبحث ليس تغيير الخلق أو تبديله أو إزالته ، وإنما تغيير مسلكه ووضعه في مكانه ، فإن كثيراً ممن جاهدوا أنفسهم وأرهقوها في سبيل التخلص من خلق ما ، وقعوا في عواقب غير محمودة ، ونتائج غير مرجوة ، إما بالعود الأشد ، أو بالوقوع في شراك البدع ، ولم يظفر أكثرهم بتغييرها .

ومن خلال بحثي في كيفية التعامل مع الأخلاق الذميمة ومعالجتها، لم أجد أفضل من مفهوم ابن القيم لها وتعامله معها في كتابه القيم (تهذيب مدارج السالكين).فقد أوضح من خلال مثال رائع كيفية تعامل الناس مع الطباع والأخلاق وأنجح الطرق في التعامل معها:

فدعونا نستعرض معه المثل :

يقول ابن القيم : هذا فصل يصل به السالك مع تلك الأخلاق . ولا يحتاج إلى علاجها وإزالتها . ويكون سيره أقوى وأجل وأسرع من سير العامل على إزالتها .

وقد ضرب العالم الجليل ابن القيم مثلاً على ذلك فيما معناه: (مع التبسيط).

نفترض أن هناك نهر جار ينتهي مصبه ومنحدره إلى أرضٍ وعمران ودور يهددها بالإغراق ، وأصحابها يعلمون بخطر ذلك النهر على دورهم وأراضيهم فانقسموا قسمين : قسم لم يعطي له بالاً فتركوه

حتى أهلكهم وخرب دورهم وأراضيهم ، والقسم الآخر : انقسموا إلى ثلاث فرق :

فرقة صرفت قواها في حبسه فبنت سداً وبناء لإيقافه ، فلم تعلم هذه الفرقة بأن ذلك يجعله يوشك أن تتجمع مياهه فيفيض ويصبح خطره أعظم.

وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت أنه لا يغني عنها شيءاً. وقالت لا خلاص من ذلك إلا بقطعه من ينبوعه، فأبت الطبيعة عليهم ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع آخر ، فاشتغل هؤلاء بشأن ذلك النهر عن الزراعة والعمارة وغرس الأشجار.

وفرقة ثالثة خالفت الفرقتين ، وفكرت بحكمة فارتأت أن الفرقتين أضاعوا كثيراً من مصالحهم ، فأخذت في تغيير مجرى النهر المنتهي عند العمران ، وصرفوه لموضع ينتفعون منه ولا يتضررون به ، فصرفوه إلى أرضٍ قابلة للنبات وسقوها به ، فأنبتت العشب والكلأ فكانت هذه الفرقة هي أصوب الفرق .

وإذا طبقنا هذا المثل على الأخلاق والطبائع ، لوجدنا أن أخلاق النفس إنما تقوم على أساس دافعين ، دافع الشهوة ، ودافع الغضب ، أما دافع الشهوة فلكي يجلب به الإنسان لنفسه المنافع ، وأما دافع الغضب فلكي يدفع به الإنسان عن نفسه الضرر، فإذا انحرف هذان الدافعان عن مسلكهم ، فإنه يتولد عن ذلك كافة الأخلاق الذميمة.

وإذا افترضنا أن هذان الدافعان هو ذلك النهر، ومصبه منتهي لعمران القلب الذي إذا تركت هاتين القوتين لخربت القلب وأتلفته ، فانقسمت النفوس إلى ظالمة جاهلة ، وتركت هذا النهر ومجراه فخربت قلوبها وإيمانها .

وأما النفوس الزكية فقد فطنت لما يؤول إليه أمر هذا النهر فانقسمت إلى ثلاث فرق :

فرقة أعرضوا عنها ، وشغلوا أنفسهم بالأعمال ، ولم يتركوا هذه القوى لتهدم دورهم وعمرانهم ، بل حصنوا أنفسهم ببناء السدود وإحكام البناء حتى إذا وصل النهر أخذ يميناً وشمالاً ،فهؤلاء صرفوا عزيمتهم وإرادتهم في العمارة وإحكام البناء .

وفرقة ثانية وهم الذين انقطعوا للمجاهدات الشديدة والخلوات عن الخلق ، أرادوا قطع النهر من ينبوعه فأبت عليهم الطبيعة التي خلق الله عليها البشر ، فأصبحوا في حربٍ دائمة مع أنفسهم ، وهؤلاء صرفوا قواهم إلى مجاهدة أنفسهم على إزالة هذه الصفات ، فزل أكثرهم .
بيد أن هذه الفرق قال عنها بعض الشيوخ أن آفات النفس مثل الحيات والعقارب التي في طريق المسافر ، فإذا أقبل في تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ، ولم يمكنه السفر قط ، ولكن ليكن هدفك إكمال السفر والإعراض عنها ،وعدم الالتفات إليها ، فإن أعترضك شيءا منها فاقتله ثم أكمل المسير.

أما **الفرقة الثالثة** فقد علمت أن هذه الصفات إنما يمكن الاستفادة منها من طريقٍ آخر ، بل نظرت إليها على أنها لم تخلق في النفس هباء بل يمكن أن تكون درر مكنونة ، فصرفوها إلى حيث تنبت الثمار والأشجار ، وأبقوا عليها في نفوسهم .

ومثال على ذلك عندما رأى النبي ﷺ أبا دجانة يتبختر بين الصفين . فقال : « **إنها لمشية يبغضها الله ، إلا في هذا الموضع** » . الطبراني

وفي حديثٍ آخر « **إن من الخيلاء ما يحبها الله ، ومنها ما يبغضها الله . فالخيلاء التي يحبها الله : اختيال الرجل في الحرب** » .أبو داوود

فهنا أصبحت الصفة المذمومة محمودة في ذلك الموضع عندما وضعت في مصرفها الصحيح، بل أصبحت عبودية أيضاً.

وخلاصة رأي ابن القيم أن الخلق الذي نعتبره ذميماً ليس المطلوب منا قمعه والتخلص منه بالمرة ، ولكن المطلوب هو تصريفه في مكانه الصحيح .

نسبية الأخلاق

إن الأخلاق كمصطلح يندرج تحته الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة، فهل يمكن أن تكون الأخلاق المحمودة مذمومة والأخلاق المذمومة محمودة ؟

الجواب: نعم، إن الخلق يمكن أن يكون حيادي، ويحكم عليه الموقف نفسه ولكن....! كيف؟

إن هذه الفقرة هي تكملة لما قبلها وتوضيح للصورة الكاملة للإلمام بمفهوم الأخلاق والمقصود به ووضع كلٍ في موضعه الصحيح، أو وضع الأمر في نصابه ، فليس الإسلام هو تطبيق مجرد للسمات والصفات البراقة في مظهرها فحسب ، وإنما الإسلام هو دين الحكمة من ربٍ حكيم ، ووضع كل خلق في ميزانه الصحيح .

فالحياء مثلاً هو خلق جميل أثنى عليه النبي ﷺ ، ولكن إذا استخدم الحياء في موضع يتطلب الجرأة أصبح مذموماً ، فمثلاً إذا منع الإنسان من السؤال في العلم أو الدين ، وأيضاً إذا سكت عن الحق بحجة الحياء ، فهذا الموضع يكون الحياء فيه مذموماً ، والجرأة مطلوبة ، لأنه بذلك سيحيل الإنسان لشخص سلبي وجبان ولا يستطيع أن يطالب حتى بحقوقه.

وخلق الأناة والتروي من الممكن أن يكون مذموماً في وقت يتطلب العجلة والشدة أحياناً مثلما في حالة إنقاذ إنسان أو إسعاف مريض.

وخلق القناعة هو خلق محمود في الزهد عما في يد الآخرين، وعدم التكالب على مفاتن الدنيا والمال، ولكنه يصبح مذموماً إذا قنعت باليسير من العلم مثلاً وأصبحت محدود الطموح بحجة القناعة، وستكون دعوة للتراجع والجمود.
وأحيانا يكون التظاهر بالجبن والخوف من ضمن خطة لتضليل العدو والانتصار عليهم، مثلما أظهرنا لليهود في إسرائيل قبل حرب ٦ أكتوبر ٧٣ وهزمناهم شر هزيمة بعد ذلك.

وإذا تركنا تأديب أطفالنا وقسونا عليهم أحياناً من باب الرحمة والرفق ، لانفلت زمامهم ولم نستطع السيطرة عليهم ، وأضعناهم . وأيضاً إذا تراخينا في حد من حدود الله بدافع الرحمة .

وإذا تأملنا أسماء الله الحسنى لوجدنا من أسمائه سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم ، والقوي القهار... العفو الغفور ، المنتقم الجبار...والنافع الضار، والمعطي الوهاب والمانع ...والقابض الباسط ، الخافض الرافع...والمعز المذل .

فإذا نظرنا لأسماء الله الحسنى بفكرٍ قاصر لقلنا كيف يكون الله جباراً وهو الرحيم، وكيف يكون منتقماً وهو العفو، وكيف يكون مانعاً وهو المعطي.

ولكن عندما نعلم أن من أسمائه أيضاً الحكيم الحكم العدل ، و تدبرنا بعقلٍ واعٍ لعلمنا مغزى وحكمة كل صفة واسم من أسماء الله الحسنى، وكيف يتعامل مع خلقه في كل موقف باسمٍ من أسمائه الحسنى بما يصلحه ويقومه ، والإنسان الموصول بالله تعالى إنما يجعل صفات الله تعالى أصلاً يشتق منه أخلاقه .

وقد كان النبي ﷺ خير مثال وقدوة على هذه الحكمة في التعامل بالأخلاق ، فقد كان وهو أرحم الخلق وأرأفهم على الإطلاق، ومع ذلك كان يقيم الحد ، ويقطع أيدي الرجال والنساء المخالفين لشرع الله ، ويضرب الأعناق ، ويرجم بالحجارة حتى الموت، فكان لا يتهاون في حقٍ من حقوق الله.

وأيضاً في صلح الحديبية عندما وافق النبي ﷺ على شروط قريش في الرجوع والحج في العام التالي ، والهدنة عشر سنوات ، حتى أن عمر قال لأبي بكر : ألسنا على الحق ،قال: نعم قال أليسوا على الباطل : قال : نعم ، قال: فلم نرضى الدنية في ديننا ؟ وكان بسبب ذلك الصلح أن دخل في الإسلام الكثير، وفتحت مكة بعد ذلك.

وهو نفسه الذي وقف في وسط المعركة في غزوة أحد بعد نزول الرماة من على الجبل وانقلاب المعركة ضد المسلمين ، وقد وقف في منتهى الشجاعة ينادي ليجمع المسلمين « أنا النبي ﷺ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ».

إن أغلب الذين تحدثوا عن الأخلاق سواء كانت كتباً أو محاضرات أو ندوات فإن كل اهتمامهم كان الحديث عن الأخلاق المجردة ، ظناً منهم أن المجتمع مليء بالرذائل والأخلاق السيئة ،

فلا سبيل للإصلاح إلا بمقابلة هذه الأخلاق بعكسها والعمل على استئصالها ، ومن هنا بدأ الصراع واتسعت الفجوات .

فعندما يجد الناس أن صاحب الأخلاق هو من تنهب حقوقه ، وتنهش أعراضه ، ويذل ويهان ،ويتعرض للمشاكل والصعاب،فإن المفاهيم تضطرب ، والموازين تختل ، وينقسم الناس لقسمين إما أخيار ولكنهم لا يستطيعون مجاراة الشر فانزووا وابتعدوا وفضلوا الخلوة والنجاة بأنفسهم ، وإما أشرار اعتبروا الأخلاق ضعف وجبن وضياع للحقوق ، ابتدعوا لأنفسهم أخلاقاً جديدة بمسميات جديدة ليريحوا ضمائرهم ، فأصبح الكذب تجمل ، وأخذ حقوق الناس شطارة، والرشوة قضاء مصالح ، والكبر والتعالي والخيلاء من صفات الأقوياء والأغنياء، والتواضع والتسامح ضعف وجبن.

بينما ظل هناك التائهون بين هذا وذاك وهم أغلب الناس يتخبطون بين هؤلاء وهؤلاء ، ويتحيرون بين ما هو خطأ وصواب.

ولكننا إذا فهمنا الدين على حقيقته، لعلمنا أن حسن الخلق هو وضع كل خلق في موضعه الصحيح، وأن سبب هذا الهرج والتخبط هو الجهل بحقيقة الحكمة في تقييم كل موقف ،والميل بالهوى دون التفكير بالعواقب.

ولقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم :{ **أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين** }.المائدة ٥٤

فجعل الله العزة والمذلة أيضا من صفات المؤمنين.

وفي هذا المبحث نتعرض لمفهوم جديد في توصيف الأخلاق ألا وهو نسبية الأخلاق، فالأخلاق من صدق وكذب وحلم وغضب ورحمة وقسوة...إلى آخرها من الأخلاق تحتاج للنظر إليها من منظور آخر، فلكي تحكم على خلق ما بالحسن أو بالقبح فضعه أولاً في ميزان

النيـة ، فـإذا رجحـت كفـة النيـة الحسـنة فهـو خلـق حسـن ، وإذا رجحـت كفـة النيـة السـيئة فهـو خلـق سـيئ .

ولعـل أقـرب التعاريـف للخلـق الـذي تتفـق مـع هـذا المعنـى هـو تعريـف الجرجـاني (وقـد سـبق الإشـارة إليـه):

وهـذا التعريـف أيضـاً يتفـق مـع قـول النبـي ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » البخـاري ومسـلم

كيف نتعلم الأخلاق

إن فطـرة اللـه التـي فطـر النـاس عليهـا إنمـا هـي حـب الخـير وكراهيـة الـشر، وإن النفـس تصبـو للكـمال، وتنفـر مـن الضـلال، وإن أصـل الديـن لهـو مـداراة الفطـرة، وتخليـص النفـس مـن الشـوائب التـي تعلـق بهـا، فالإسـلام هـو ديـن الفطـرة الخالصـة ، ولـذا قـال اللـه في كتابـه العزيـز :

{**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**} الروم ٣٠

فكلنـا بالفطـرة يميـز بـين الخـير والـشر ، وبـين الخلـق الحسـن والخلـق القبيـح، ولكـن النفـس لتزيـغ عـن فطرتهـا السـليمة أحيانـاً، وتتلاعـب بهـا الشـهوات و الأهـواء، ولأن اللـه تعـالى هـو الخالـق ، ويعلـم مـا بالنفـس مـن فطـرة طيبـة ونزعـة هابطـة ، فقـد رسـم لهـا المنهـج الـذي يدعـم فطرتهـا ويقـوم اعوجاجهـا ، ثـم تـرك الأمـر بـين يـدي الإنسـان وباختيـاره .

قـال اللـه :{**ونفسٍ وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**}. الشـمس ٧ـ١٠

إن أصعـب شيء عـلى الطبيعـة الإنسـانية تغيـير الأخـلاق والطبـاع التـي جبلـت عليهـا ، وإن مـن السـهل التأثـر بكتـاب أو محـاضرة عـن الخلـق ، ولكـن مـن الصعـب تطبيقهـا أو العمـل بهـا مـا لم تكـن لدينـا الهمـة العاليـة والإرادة القويـة ، واسـتحضار النيـة في تغيـير خلـق مـا ،

وهـذا مـا عنـي بـه قـول اللـه :
{**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } الرعد
وقال تعالى : {**ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}. الأنفـال
إننـا لـن نتغـير إلا إذا أيقنـا أن هـذا هـو الطريـق الوحيـد الـذي يحقـق السـعادة في الداريـن الدنيـا والآخـرة.

تغيير الأخلاق وإن كان صعباً ليس مستحيلاً :

إن التخلـق بالخلـق الحسـن إمـا أن يكـون بالفطـرة والجبلـة ومنحـة مـن اللـه ، مثلـما قـال النبـي ﷺ للأحنـف بـن قيـس : « **إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة** » فقـال الأحنـف : أهـما خصلتـان تخلقـت بهـما أم جبلنـي اللـه عليهـما ؟ قـال : « **بل جبلك الله عليهما** ». مسـلم
وإمـا يكـون بالاكتسـاب و حمـل النفـس عـلى التغيـير وتحصيـل خلـق مـا، وبعـض النـاس يسـتثقلون المجاهـدة لتغيـير خلـق مـا ، ويتصـورون أن الطبـاع والأخـلاق لا يمكـن تغييرهـا .
وهـؤلاء يمكـن الـرد عليهـم بمـا قالـه الإمـام الغـزالي ـ رحمـه اللـه تعـالى ـ في ذلـك بـالآتي :

أنـه لـو كانـت الأخـلاق غـير قابلـة للتغيـير مـا كان للقـرآن والسـنة أن يحثـوا عليهـا، ومـا كان للمواعـظ والوصايـا معنـي.
ولـو كانـت الأخـلاق غـير قابلـة للتغيـير مـا كان تغـير الصحابـة، والمؤمنـين الأولـين، بعدمـا عاشـوا أخـلاق وحيـاة الجاهليـة، ويبـين لنـا ذلـك مـا قالـه الصحـابي الجليـل جعفـر بـن أبي طالـب لملـك الحبشـة : ((أيهـا الملـك ...

كنا قوماً أهل جاهلية ....إلى آخر الحديث)) .
ولو كانت الطباع غير قابلة للتغيير ما استطعنا أن ندرب حيواناً، أو نستأنس وحشاً، فما بالك بالإنسان.
ولكن هناك طباعاً سهلة التغيير وطباعاً صعبة التغيير

فالمطلوب هو أن نجاهد أنفسنا فنصيب مرة ونخطئ مرات ولا ضير ، ولكن الخطأ كل الخطأ أن نيأس فنتوقف ونستسلم لطباعنا ،وقد قال الله تعالى {**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** }العنكبوت

تهذيب الأخلاق:

وهنا يجب التأكيد على أنه ليس المقصود من تغيير الأخلاق هو طمس الصفات أو قمع الشهوات بالكلية ، فلم يخلق الله فينا هذه الشهوات لهلاكنا بل خلقها لسعادتنا واستمرار حياتنا ، فلو انقطعت شهوة الطعام مثلاً لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الجماع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب لم يستطع الإنسان أن يدافع عن نفسه ،أو يدفع عن نفسه الهلاك، أو يجاهد في سبيل الله.
ولكن المطلوب هو الاعتدال والتوازن ، فالأخلاق السوية هي الأخلاق المعتدلة التي تكون وسط بين الإفراط والتفريط ، فديننا هو دين الوسطية وهذا ما يؤكده قول الله : {**وكذلك جعلناكم أمةً وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول ﷺ عليكم شهيدا**}. البقرة
وكما أن الجسم يحتاج إلى التغذية المستمرة ليصح ، فإن النفس أيضاً تحتاج إلى التزكية والتهذيب المستمر لتصح ، فقد قضت حكمة الله أن يولد الإنسان ناقصاً ليسعى للكمال ،فإما أن ينتصر على نفسه

فينجـو، أو تنتـصر نفسـه عليـه فـلا يجنـي إلا الحـسرات.

والمقصـود مـن رد الأخـلاق إلى الاعتـدال أن كل خلـق محمـود هـو وسـط بـين خلقـين ذميمـين فمثـلاً:

- خلق التواضع هو وسط بين الكبر والعلو وبين الذل والمهانة.
- وخلق الجود والكرم هو وسط بين خلقي البخل والتبذير.
- وخلق الحياء هو وسط بين الجرأة والوقاحة، وبين العجز والمهانة
- وخلـق الصـبر الانحـراف عنـه يتحـول إمـا إلى جـزع وتسـخط وإمـا إلى غلظـة وقسـوة قلـب.
- وخلق الشجاعة هو وسط بين التهور والاندفاع وبين الجبن والخوف.
- وخلـق القناعـة إذا انحـرف فإمـا إلى حـرص ونهـم ، وإمـا إلى خسـة ووضاعـة.
- وخلـق الرحمـة هـو وسـط بـين القسـوة والغلظـة وبـين الضعـف و الجـبن .
- وخلـق الأنـاة والرفـق وسـط بـين العجلـة والطيـش والعنـف وبـين التفريـط والإضاعـة .
- وخلق العزة فانحرافه إما إلى كبر وبطش وإما إلى ذل ومهانة.

حتـى طلاقـة الوجـه فهـي وسـط بـين العبـوس والتجهـم وبـين الاسترسـال في المـزاح مـع أي شـخص وفي أي مـكان فتضيـع الهيبـة والوقـار.

وقد حث الله في كتابه العزيز على هذا الاعتدال وهذه الوسطية فقال تعالي : {**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** }.الأعراف
وقال تعالي {**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**}.الفرقان

ملحوظة :

وهذا المفهوم الوسطي للأخلاق والذي ذكره ابن القيم في كتابه (تهذيب مدارج السالكين)، وتحدث عنه أيضاً الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) ، لا يتعارض مع المفهوم الذي تحدثنا عنه سابقاً وهو أن لكل خلق حاجة ، ولكل حالة خلق مناسب ، حيث أن لكل شيءٍ أصل وقاعدة ، ولكل قاعدة استثناء ، وأصل الفضائل هو التعامل مع الناس بالأخلاق المحمودة ، بينما الاستثناء هو استخدام خلق ما في الأصل هو ذميم ولكن استخدامه في موضع ما يجعله محمود في هذا الموضع بل مؤجر عليه أيضاً ، بينما إذا افتقر المرء للحكمة ، فيكون مرجعه للأصل فخطر التعامل مع الأخلاق بجهل أشد وأعظم من التعامل بالأخلاق المحمودة دوماً حتى لو وضعت في غير موضعها، وعندما نتعرض لمفهوم الأخلاق الوسطي هنا إنما نتعرض لأصول الأخلاق سواءً المحمودة منها والمذمومة وليست استثناءاتها .

الوسائل العملية لتهذيب الأخلاق :

- **أن تحمد الله على ما وهبك الله إياه من أخلاقٍ كريمة :**

فإن كنت كريم بطبعك ، أو رزقك الله الحلم والأناة ، فأي إنسان لا يخلو من صفاتٍ حسنة ولكن عليك أن تجعل كل عمل تقوم به خالص لله تعالى ، « إنما الأعمال بالنيات » .

- **الصحبة الصالحة :**

إن الصديق مرآة صديقه، فاستعن على الأخلاق الصالحة بالصاحب الصالح، واقطع صحبتك فوراً بصاحب السوء وما أكثر من ضلوا الطريق بسبب صحبة السوء .

فقد قال ﷺ :« **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**». أبو داوود والترمذي

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي ﷺ :« مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ،فحامل المسك إما أن يجذبك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما تجد منه ريح طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريح منتنة » . متفقٌ عليه

- **اشغل نفسك :**

الفراغ هو أعدى أعداء الإنسان وقد قال الشافعي رحمه الله : اشغل نفسك بالحق قبل أن تشغلك هي بالباطل.

ولذا فمن الوسائل القوية المعينة على تحسين الأخلاق إنما هي أن يكون لك هدف واضح تسعى لتحقيقه وتحقيق التميز فيه مثل

أن تنشـغل بالعلـم، أو تنشـغل بالدعـوة ، أو تنشـغل بالإصـلاح، أو تكـون متفوقـاً في دراسـتك أو عملـك،
أو تتميـز في شيءٍ مـا، ففـي الغالـب تجـد مـن يكـون متميـزاً في شيء يحـب أن يكـون متميـزاً في كل شيء .

- **التفكر بالنهاية :**

فـإن التفكـر بالعاقبـة دائمـاً مـا يكـون عونـاً عـلى كل خـير، والبعـد عـن كل شر ، فعندمـا نسـتأنس بمـا في القـرآن والسـنة عـن عظيـم ثـواب حسـن الخلـق ، و بـأس عاقبـة سـوء الخلـق ، فسـيقوى عندنـا الدافـع للتغيـير ، ويكـون السـلوى لنـا دائمـاً.

- **الاقتداء بالنبي ﷺ :**

فـإذا قرأنـا سـيرة النبـي ﷺ بتمعـن وتأمـل لوجدنـا مـا يغنينـا عـن أي شيء آخـر ، فلـم يـترك لنـا النبـي ﷺ صغـيرة ولا كبـيرة إلا كان لـه فيهـا موقـف وخلـق لنتعلـم منـه.
قـال تعـالى:{ **لقد كان لكم في النبي ﷺ أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**}.الأحـزاب ٢١
وقـال تعـالى : { **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**}. البقـرة

- **الاقتداء بالصحابة والصالحين :**

وسيرة الصحابة والصالحين ممتلئة بالأمثلة على حسن الخلق، ومجاهدة النفس .وقراءة سير الصالحين من أنجح الطرق لتعلم الأخلاق .

- **الملاحظة والمراقبة :**

إن من المفيد جداً ملاحظة الأشخاص ذوو الأخلاق الكريمة ، ومراقبتهم كيف يتعاملون في المواقف المختلفة، والحياة مدرسة كبيرة مليئة بالقصص والعبر والدروس ، والعاقل من يتأملها ويعتبر بها ،فلا يمر عليها مرور الكرام ،فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها ، فأنا أحياناً أتعلم دروسا من ابنتي الصغيرة ، أو من حكاية سمعتها ،أو من موقف مر بي ،فلا تفوت شيءاً في الحياة دون أن تتعلم منه حتى لو كان تافهاً في نظرك .

- **دراسة العلوم الحديثة التي تعين على التحكم بالذات :**

ففي علم البرمجة اللغوية العصبية الحديث مثلاً نجد من الوسائل التي تعيننا على التخلص أو اكتساب صفة ما بالتدريب عليها ، وتخيل النتائج في المستقبل ، فعندما تتخيل النجاح في شيءٍ ما ، ويصبح كل تركيزك على هذا النجاح فإنك بالفعل تصل إليه وتحققه. كأن تتخيل نفسك في المستقبل وأنت في مواقف صعبة وتتصور أنك تتعامل معها بحلم وصبر ورويه ، أو تتخيل نفسك في موقف أظهرت فيه الشجاعة والجرأة ، أو موقف تحكمت فيه بغضبك ، أو موقف تعاملت معه بحكمة، وتخيل شعورك وسعادتك في هذه اللحظة وتصرف على أساسها، واجعل هذه الصورة دائماً حاضرة في ذهنك،

وكأنـك حققتهـا بالفعـل، فسـيعينك اللـه حتـماً عـلى تحقيقهـا بإذنـه ومشيءتـه .
وأيضـاً دراسـة علـم النفـس والاجتـماع والتنميـة البشريـة، والـذي يعينـك عـلى التعـرف عـلى طبائـع النـاس ودوافعهـا وكيفيـة التعامـل معهـا .
فقـد قـال عـلي : (مـن أراد الدنيـا فعليـه بالعلـم، ومـن أراد الآخـرة فعليـه بالعلـم، ومـن أراد الدنيـا والآخـرة فعليـه بالعلـم).

انطلق ...وابدأ الخطوة الأولى

إن التغيـير لابـد أن يكـون نابـع مـن ذاتـك ، وبإرادتـك ، ولـذا لابـد أن تتخـذ الخطـوة الأولى وهـي أن توقـف السـلوك الخاطـئ مـع العـزم عـلى عـدم العـودة، وسـتجد اللـه يأخـذ بيـدك إلى الطريـق ولـن تضـل أبـدا ، فهـذا قانـون ربـاني سـاري في كونـه ، فقـد قـال ﷺ:
« **ومن يستعفف؛ يعفه الله ، ومن يستغنِ ؛يغنه الله ،ومن يتصبر يصبره الله**...» البخاري

- **التدريب والتكرار :**

إن الخلـق لا ينضـج في النفـس فجـأة، وإنمـا ينمـو عـلى مراحـل، وبالتكـرار يصبـح طبـع في الإنسـان لا يـرضى عنـه بديـلاً، فمـن أراد التواضع فإنـه يحمـل نفسـه عـلى أفعـال المتواضعـين، ومـن أراد الجـود والكـرم ، فإنـه يتنـاول أخـلاق الكرمـاء ،وهكـذا حتـى يصبـح الخلـق عـادة ،فلـو داومنـا التدريـب عـلى الخلـق الحسـن طـرد الخلـق القبيـح وانتـصر عليـه فقـد قـال ﷺ :« **أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** ».البخـاري

ولا نبدأ بالتدريب على الأخلاق جملة ، ولكن نركز على خلق ما حتى نتطبع به ، ثم نتناول خلق آخر وهكذا.

أصلح نفسك على ثلاث مستويات :

مع نفسك :

فلا تفعل في خلوتك مع نفسك ما تستحي من فعله أمام الناس ، فمثلاً لا تأكل بنهم عند أكلك لوحدك ، ولا تتجشأ بصوت عال ، واحرص على ستر عورتك دائماً ، فكلما كنت حريصاً على كل ما يزين ويجمل نفسك في السر كلما كان ذلك طبعاً مصاحباً لك في العلن ، فتعلو وتسمو أمام نفسك ،فتحترمها وتحرص على تجنب كل ما يشينها.

مع الناس :

تعامل مع الناس بما تحب أن يعاملك به الناس ، ولا تظهر لهم ما تكرهه منهم لنفسك، وانتفع بكل من تخالطه أو تصاحبه من سيء الخلق وحسنه ، فاجعل الناس مرآةً لنفسك ، فما ترى من غيرك من خلق حسن ،وطبع جميل في قول أو فعل فاقتدي به وتعلم منه ، وما ترى من خلق سيء ، وطبع قبيح فاجتنبه .

مع الله :

وذلك بأن تستحي من الله حق الحياء ، ومن نظره لك ، ومراقبته إياك ، فاحرص دائماً ألا يراك على قبيح ، وأن يجدك دائماً حيث أمرك .

كيف نعلم أطفالنا الأخلاق

إن أطفالنا هم قرة أعيننا وفلذات أكبادنا تمشي على الأرض ، وغاية الغايات أن تقرّ أعيننا بصلاح أخلاقهم ، فإذا أدبتهم وزرعت في نفوسهم وازع الأخلاق والمبادئ المتزنة، فألقهم في بحر الحياة ولا تخشى عليهم بعد ذلك ولا تقلق، وسيكون هذا الوازع سفينة النجاة بالنسبة إليهم التي ستوصلهم دائماً إلى بر الأمان .

وقد يقع بعض الآباء تحت وطأة مفهوم قاصر فيرتكبون خطأً فادحاً في حق أبنائهم دون قصد .

فمثلاً:

- بعض الآباء يكون مفهوم عملية التربية عنده هو أن يعلم أولاده في أرقى المدارس، ويشترك له في أرقى النوادي وكفى.
- وآباء آخرين يعتقدون أن التربية هي تلبية كل احتياجاتهم ومطالبهم، فالمال يحل كل مشاكلهم.
- بعض الآباء والأمهات يتركون مسألة التربية برمتها إلى الخدم بحجة الانشغال وضيق الوقت.
- بعض الأمهات يكون أقصى اهتمامها بأولادها هو الاهتمام بالطعام والشراب والملبس والنظافة .
- وآخرين يعتقدون أنهم قد أدوا كل ما عليهم عندما يزجون بأولادهم إلى شيخ يحفظهم القرآن ، أو إلى مدرب يدربهم على رياضة

مـا .

وإن كان في كل ذلـك مـا هـو صـواب ومـا هـو خاطـئ إلا أن غـرس القيـم والأخـلاق الفاضلـة في نفـوس أبنائنـا يجـب أن يكـون عـلى قمـة أولوياتنـا في التربيـة، فـإن لم تكـن هـذه مهمتنـا فمـن سـيقوم بهـذا الـدور عنـا.

إن الأطفـال هـم أمانـه في رقابنـا ، وسنسـأل عنهـم أمـام اللـه فقـد قـال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤولٌ عن رعيته** » .متفـق عليـه

وقـال أيضـاً ﷺ: «**كُل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » . مسـلم

فإمـا أن نرعاهـم ونقـوِّم أخلاقهـم فيكونـوا لنـا الولـد الصالـح الـذي يدعـو لنـا بعـد مماتنـا، ونرقـى وإياهـم إلى أعـلى درجـات الجنـة، وإمـا أن نهملهـم فننـدم عنـد كبرهـم وكبرنـا أشـد النـدم فـلا نـرى منهـم إلا العقـوق والخلـق السـيئ، والحـسرة في الدنيـا و الآخـرة.

وقـد أشـار ابـن القيـم في كتابـه ـ أحـكام المولـود ـ عـلى ذلـك حيـث قـال:

(ومـما يحتـاج إليـه الطفـل أشـد الاحتيـاج ، الاعتنـاء بأمـر خلقـه ،فإنـه ينشـأ عـلى مـا عـوده المـربي في صغـره مـن حـردٍ وغضـب ولجـاج وعجلـة وخفـة مـن هـواه وطيـش وحـدة وجشـع ، فيصعـب عليـه في كـبره تـلافي ذلـك .وتصـير هـذه الأخـلاق صفـات وهيئـات راسـخة لـه ،فـإن لم يتحـرز منهـا غايـة التحـرز فضحتـه لابـد يومـاً مـا ، ولهـذا تجـد أكـثر النـاس منحرفـة أخلاقهـم ، وذلـك مـن قبـل التربيـة التـي نشـأ عليهـا).

وقـال العلامـة الشـيخ محمـد الخـضر حسـين ـ شـيخ الأزهـر

ســابقاً ـ :

(إن الصبــي يولــد عــلى الفطــرة الخالصــة ، والطبــع البســيط، فـإذا قوبلـت نفسـه السـاذجة بخلـق مـن الأخـلاق نقشـت صورتـه في لوحهـا ، ثـم لم تـزل تلـك الصـورة تمتـد شيءاً فـشيءاً إلى أن تأخـذ بجميـع أطـراف النفـس ، وتصـير كيفيـة راسـخة فيهـا ، حائلـة لهـا عـن الانفعـال بضدها،يؤيـد هـذا أنّـا إذا رأينـا في الغربـاء مـن هـو لطيـف الخطـاب ، جميـل اللقـاء ، مهـذب الألمعيـة ، لا نرتـاب في دعـوى أنـه ممـن أنبتـه اللـه في البيـوت الفاضلـة نباتـاً حسـناً).

فضل تأديب الأولاد :

إن مـن أولويـات تربيـة الأطفـال الخلقيـة هـي غـرس الأدب في نفوسـهم وهـو غـرس كل مـا هـو حسـن مـن قـول وفعـل، ولقـد حـرص النبـي ﷺ عـلى توجيـه الآبـاء لتأديـب أولادهـم ومـا لذلـك مـن عظيـم الفضـل والأجـر .

فعـن جابـر بـن سـمرة قـال : قـال النبـي ﷺ : « **لأن يؤدب الرجل ولده ، خيرٌ من أن يتصدق بصاع** » .الترمـذي

وعـن سـعيد بـن العـاص أن النبـي ﷺ قـال: « **ما نحل والد ولداً من نَحلٍ، أفضل من أدبٍ حسن** » . الترمـذي

وروى ابـن ماجـه عـن ابـن عبـاس عـن النبـي ﷺ أنـه قـال :« **أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم** » . ابـن ماجـه

وقـد أدرك الصحابـة والسـلف الصالـح أهميـة تعليـم الأولاد الآداب ، فهـذا الصحـابي الجليـل عبـد اللـه ابـن عمـر يقـول : أدب ابنـك فإنـك مسـؤولٌ عنـه مـاذا أدبتـه؟ ومـاذا علمتـه ؟ وهـو مسـؤولٌ عـن بـرك ، وطواعيتـه لـك.

وقال بعض السلف لابنه: يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم).
وقال أبو زكريا العنبري : علم بلا أدب كنارٍ بلا حطب ،وأدب بلا علم كروحٍ بلا جسم .

١٣ وسيلة لتهذيب أخلاق أطفالنا :

•إصلاح أنفسنا أولاً .

فالطفل عندما يولد يكون كالصفحة البيضاء ، وأول من يخط في هذه الصفحة هما الأب والأم بأخلاقهم وتصرفاتهم ، ولذا فإن أكبر تأثير في تشكيل شخصيته الطفل يكون من خلال معاشرة والديه وتشرب طباعهما.

•التربية بالموقف.

فالأطفال لا يتأثرون بالكلام والنصائح قدر تأثرهم بالمواقف العملية، فانتهاز المناسبات والمواقف في التربية من أنجح الوسائل ، وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذه الوسيلة في تربية أصحابه.

•التركيز على القيم والمبادئ وليس التوجيهات.

وهو التأكيد على الأخلاق من صدق وأمانة وعطاء وصبر وغير ذلك بصورة غير مباشرة وليس بالأوامر والنصائح، والمكافأة على السلوك الحسن وإن كان بسيطاً ولو بكلمة مدح واستحسان.

•لا تعزل أولادك.

فلكي تعلمهم الأخلاق فيجب أن تجعلهم يختلطون بالمجتمع حولهم، ودورك أن تراقب وتقوم الخطأ، وتعزز الصواب، وتنتقي

الصاحـب والمعلـم.

•التربية بالقصة.

والقصـة هـي أقـرب وسـيلة لقلـب الطفـل وعقلـه، وأكـثر رسـوخاً في ذاكرتـه، فاحـرص عـلى سرد القصـص التـي يخـرج منهـا بخلـق وفضيلـة، وليـس أفضـل مـن سـيرة النبـي ﷺ ، وقصـص الصحابـة ليرتبـط بهـم وبأخلاقهـم.

•علمهم مراقبة الله تعالى .

فالمراقبـة تعلمهـم الحيـاء مـن اللـه وخشـيته ،فعلمهـم أن اللـه يراهـم في سرهـم وعلانيتهـم ومعهـم في كل وقـت ومـكان ، فأنـت لـن تسـتطيع أن تراقبهـم طـوال الوقـت ، فـإذا اسـتطعت أن تـزرع فيهـم هـذا الـوازع فـلا تخـشى عليهـم شيءاً بعـد ذلـك.

قـال سـهل بـن عبـد اللـه التسـتري : كنـت وأنـا ابـن ثـلاث سـنين أقـوم بالليـل ، فأنظـر إلى صـلاة خـالي محمـد بـن سـوار ، فقـال لي يومـا : ألا تذكـر اللـه الـذي خلقـك؟

فقلـت: كيـف أذكـره؟ فقـال : قـل بقلبـك عنـد تقلبـك بثيابـك ثـلاث مرات مـن غـير أن تحرك لسـانك:

الله معي ... الله ناظري.. الله شاهدي.

فقلـت ذلـك ليـالي ثـم أعلمتـه بـه، فقـال: قـل كذلـك كل ليلـة إحـدى عـشر مـرة ، فقلتـه فوقـع في قلبـي حـلاوة ،

فلما كان بعد سنة قال لي خالي :

احفـظ مـا عملـت ، ودُم عليـه إلى أن تدخـل القـبر فإنـه ينفعـك في الدنيـا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين ثم قال لي خالي يوما : يا سهل ..

من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده .... أيعصيه ؟!!!

•تعلم المرونة والسلاسة في التربية.

فإياك والغضب ، وإن غضبت فلا تتكلم أو تتعامل مع الموقف وأنت على هذه الحالة ، بل اعط لنفسك مساحة من الوقت لتهدأ وتفكر كيف تتعامل مع الخطأ بحكمة.

وتعلم أن تتعامل مع أولادك بسلاسة وبدون توتر ، فلكل مشكلة حل ، ولكل موقف أكثر من طريقة في التعامل . وما عليك إلا أن تتعلم وتنمي خبراتك في التربية .

•التدرج والتدريب في التربية :

فالله عندما حرم الخمر حرمها على مراحل ، ومن هذا المعني علينا أن ننطلق في تربية أولادنا ، ونتبع سنة التدرج سواء في غرس خلق حسن في نفس الطفل ، أو في اقتلاع خلق سيء، ثم تأتي مرحلة التدريب .

فإذا أردنا مثلاً أن نعودهم الكرم والعطاء ، فلندربهم على ذلك ببذل النقود على المحتاجين ، ونبين لهم سبب عطاءنا لهذا الفقير لأن الله من علينا بفضل فيجب أن نبذل من هذا الفضل شكراً لنعمة الله علينا حتى يرضى عنا ، وأن هذا الفقير يحتاج أكثر منا لهذه العطية .

أعرف أم تعلم أبناءها أن يتصدقوا بثوب من ثيابهم عند شراء ثوب جديد شكرا لله على عطيته ، وحتى لا ننسى الفقراء وقت سرورنا.

فالتدريب يرسخ الفضيلة في نفس الطفل ويجعلها جزءاً من شخصيته.

•إيجاد الحافز الذي يدفعهم للتحلي بمكارم الأخلاق عن طريق:

ـ تقوية الإيمان وتعميق حب الله ورسوله في قلوبهم .

ـ الإقناع الفكري كأن نبين لهم كيفية استفادتهم من التحلي بهذه

الأخلاق عند تعاملهم مع الناس وحب الناس لهم ، والوصول للنجاح في الدنيا بهذه الأخلاق.

•مزاحمة الأخلاق الحسنة للأخلاق السيئة.

عندما نريد أن نتخلص من سلوك سيء لدى الأطفال ، فيجب أن نركز على سلوكياتهم الجميلة ونعززها بالمدح والثناء دائما ، ونزرع الأخلاق الحسنة في نفوسهم بالحديث الدائم عن فضلها ، دون الإشارة للسلوك السيء ، وبهذه الطريقة يزاحم الخلق الحسن الخلق السيء ويطرده.

•توجيه وتحويل طباعهم عن الصغائر لمعالى الأمور.

أولاً يجب أن نعرف سبب السلوك السيء ونعالجه، ثم نوجه السلوك لشيء مفيد ، كأن يكون طفل طبعه عنيف ويضرب أقرانه ، فنوجهه لرياضة بدنية كالكاراتيه والكنغ فو ، أو طفل يكذب ، نوجهه لتأليف القصص مثلاً ، ففي الغالب تكون ملكة الخيال عنده واسعة ، وهكذا....

•ولتكن العصا آخر الخيارات.

يجب استخدام الضرب إذا فشلت كل المحاولات، وأقصد بالضرب هنا الضرب غير المبرح، وقد أمر النبي ﷺ تعليق السوط على الجدار للتخويف .

وهنا فالضرب غير المبرح يعيد الطفل إلى الدرب لأنه بالنسبة له يكون صدمة عندما يكون الأب حنون في العادة فيصل إليه رسالة أن الخطأ الذي عوقب عليه غير مسموح له بإعادته.

وقد قال د. عبد الله الرحيلي في كتابه الأخلاق الفاضلة) : تربية ليس

فيها العصا عند الحاجة تربية ناقصة ، وتربية ليس فيها الإقناع عند الحاجة تربية ناقصة .

•الدعاء.

الدعاء الدائم للأولاد بأن يرزقهم الخلق الحسن ، فأنت الآن قد أخذت بالأسباب فما عليك إلا التوكل على الله وأن تستودعه في أخلاقهم لحفظهم من كل سوء.

كيف يبني المجتمع صرحاً للأخلاق؟

إن الأصل في الإنسان هو الفطرة السليمة التي فطره الله عليها ، فطبيعة الإنسان تتواءم مع الخير ، والإسلام يتعامل مع هذه الفطرة من منطلق الحرية ، فالحرية هي أساس المسئولية ، والإكراه على الفضيلة لا يصنع إنساناً فاضلاً ، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع إنساناً مؤمناً ، ولذلك فإن مبادئ الإسلام تعمل على تخليص الإنسان من قيوده ، واستثارة الخير في داخله ،وخطاب القلب الإنساني بأسلوب الإقناع والمحبة ، وربطه بثمار ونتائج التحلي بالفضائل والقيم في الدنيا والآخرة ، ولقد كان حلم المصلحين والفلاسفة هو العيش في ظل مجتمع ملائكي خالي من المتاعب والضغائن قائم على الفضائل والقيم ،لا يعيش فيه إلا كل ما هو طاهر ونقي ، وأسموه بالمدينة الفاضلة ، ولكن أحبطوا بالنتيجة ،لأنه تصور غير عملي وغير واقعي ،فنحن بشر ولسنا ملائكة ، ولو أراد الله لخلقنا ملائكة ولكن أرادنا بشراً نخطئ ونصيب ، ونذنب ونتوب ،وخلق فينا الغرائز والشهوات.

وعلى هذا الأساس فإن الإسلام وضَعَ الخطوات العملية التي إذا سار عليها المجتمع أصبح أرقى المجتمعات وأرفعها علي الإطلاق :

أولاً: تنمية الوازع الخلقي والديني لدى الفرد:

لقد زخر الكتاب والسنة بكل ما يحض على الفضيلة وما يعقبها من ثواب في الدنيا والآخرة، و يحذر من الرذيلة وما يعقبها من خزي وعقاب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: تربية مجتمع ينفر من الجريمة وينكرها ويحاصرها:

فعندما يوجد المجتمع النقي المتشرب للكتاب والسنة ، فإنه يرفض أي خلق أو سلوك دخيل عليه ويحاصره ، فيفكر من يهم بجريمة ألف مرة قبل أن يقوم بها ، ولهذا كانت مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال النبي ﷺ : « **من رأى منكُم منكراً فلْيُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». مسلم

فهنا يحث الحديث على الإيجابية ،والتنفير من السلبية ، لذلك حينما أرسل الله عز وجل الملائكة ليهلكوا قوماً قالوا: ((إن فيها عبدك فلان لم يعصك طرفة عين؟ قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط)) .الطبراني (عن جابر بن عبد الله).

وفي الحديث أيضاً عن النعمان بن بشير، يقول ﷺ : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**».البخاري

ثالثاً: الوقاية خيرٌ من العلاج.

ولأن الإسلام يحسن الظن بفطرة الإنسان، فإن هدفه هو المحافظة على هذه الفطرة طاهرة نقية، وذلك بإزاحة العوائق وتحطيم القيود التي يمكن أن تحيد بهذه الفطرة عن الطريق المستقيم ،ومن أجل ذلك فإنه أخذ بمبدأ سد الذرائع ، وسد منافذ الفتن ، فأمر بغض البصر ، وعدم التبرج للمرأة ، ونهى عن الخلوة بين رجل وامرأة عوناً على الحياء والعفة ،وأمر بالتعاون ، وشرع الزكاة والصدقة وحض عليها حتى لا يلجأ فرداً لمد يده أو يشهد زوراً أو يأكل حراماً.

قال عمر لأحد ولاته الجدد: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

فقال عمر :إن جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك!

وقال :إن الله استخلفنا على عباده ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا أعطيناهم هذه النعمة تقاضيناهم شكرها.

يا هذا :إن الله خلق الأيدي لتعمل .فإذا لم تجد في الطاعة عملاً،التمست في المعصية أعمالا...فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية .

وعندما سمع عمر ذات ليله امرأة تنشد وتصرخ الأشواق لما غاب عنها زوجها ، سأل ابنته حفصة كم تستطيع المرأة أن تصبر على فراق زوجها ، ثم أصدر أوامره بألا يغيب جندي في الميدان عن أهله أكثر من المدة التي قالتها له ابنته، حتى يسد أبواب الفتنة .

فالإسلام يقدر مواطن الضعف في الإنسان ويعالجها حماية له من التعثر.

رابعاً: درأ الحدود بالشبهات:

فإذا وقعت الجريمة بعد ذلك وبعد وضع كافة الضمانات الوقائية فهو يدرأ الحد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وطالما أن هناك مخرج من ذلك فقد قال ﷺ :« **ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة** » .أبو داوود

وقال أيضاً ﷺ: « **تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب** »أبو داود والنسائي والبيهقي .

خامساً: علاج الانحراف بوضع العقوبات الرادعة.

ثم يأتي العلاج الأخير بعد استنفاد كل محاولات الإصلاح ، ولا يشدد الإسلام في العقوبة إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من حدوث الفعل ولا يوقع العقوبة إلا بعد ثبوت الفعل ولا شبهة فيه ، كما أن الإسلام لا يعاقب إلا المتبجحين بالجريمة ،أو الذين يريدون التطهر بإقامة الحد عليهم كما حدث مع ماعز وصاحبته الغامدية ، فالنبي ﷺ لم يقم عليه الحد إلا بعد ما اعترف بذنبه فيشيح عنه النبي ﷺ وجهه ،فيرجع ثانيةً فيقول: طهرني يا رسول الله ﷺ، فيقول له النبي ﷺ : «**ارجع فتب واستغفر** ».فيذهب ويعود ويقول: يا رسول الله ﷺ طهرني ويعيد عليه النبي ﷺ نفس الحديث ويظل النبي ﷺ يطرده حتى إذا وجده مصمماً فيقيم عليه الحد ، وهذا أيضاً ما حدث مع الغامدية.

فإقامة الحد ليست الغاية في حد ذاتها ، ولكنها وسيلة لردع الظلم والفحش حتى يقطع دابره من المجتمع المسلم ، فلا تسول لأحد نفسه أن يعتدي أو يظلم أو يفسد في المجتمع ، بل أيضا المقام عليه الحد أيضاً يعطى الفرصة بعد ذلك للحياة بصورة كريمة في المجتمع

بعد هذا التطهر من الدنس ، وليس كما نرى الآن فبتطبيق القوانين التي وضعها الإنسان ، فإن المجرم يقضي عقوبته ثم يعود بعد ذلك أشد ضراوة.

بعد كل ذلك يشدد الله تعالى في كتابه العزيز على عدم التهاون في حدود الله وعلى ألا تأخذنا الرحمة بالتعامل مع المذنبين عند إقامة الحد فقال تعالي: {**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم** }.المائدة

وقال تعالي : {**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين** }.النور ٢

على أن الإسلام لا يحابي أحداً ، فكلٍ أمام قواعده سواسية ، لا فرق بين غني ولا فقير ، ولا شريفٍ ولا ضعيف ،فعندما سرقت المخزومية نهضت قريش إلى أسامة بن زيد حب النبي ﷺ ليشفع لها عند النبي ﷺ فهي من أشراف قريش ، فما أن حدثه زيد حتى تغير وجهه وغضب غضباً شديدا وقال له :« **أتشفع في حدٍ من حدود الله** » .

ثم قام فخطب فقال : « **أيها الناس : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد .وأيم الله :لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » .البخاري

سادسا : الخلق السامي مع العصاة.

إن الإسلام هو دين الأخلاق والأدب والتسامح حتى مع العصاة ،فلا يقبل إهانة ولا احتقار أو توجيه لفظ جارح له فهو يصون كرامة الإنسان حتى لو كان عاصياً ففي الأثر أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو

ممسك بتلابيب آخر وهو يقول : يا رسول الله ﷺ . إن هذا الرجل سرق مني كذا. فقال :« لا تقل سرق ،ولكن قل أخذ » .

وعن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ ، وكان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضّحك النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله » .البخاري

وفي رواية أبي هريرة قال : أتى النبي ﷺ برجل قد شرب ، قال :« اضربوه ». قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه. فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله . قال :« لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان »، وفي لفظ آخر من حديث أبي هريرة : ... قال رجل : ماله أخزاه الله ! فقال النبي ﷺ :« لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ».البخاري

سابعا: قبول المجتمع للتائب وعدم ملاحقته بذنبه.

فالتائب قد قبله الله تعالى وغفر له فكيف يقبله الله ويرفضه المجتمع

لقد قال تعالي : {**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً**}الزمر ٥٣

والمجتمع المسلم مطالب بالتسامح مع التائب وعدم إلقاء اللوم والتثريب عليه ونسيان ماضيه طالما عاد إلى ربه.

فقد سمع النبي ﷺ خالد بن الوليد يسب المرأة الزانية فنهاه قائلاً :« مهلاً يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها

صاحب مكس لغفر له » . مسلم وأبو داوود

وفي قصة ماعز بعدما رجم و صلوا عليه ودفنوه .. مرّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه .. فسمع النبي ﷺ رجلين يقول احدهم لصاحبه : أنظر إلى هذا الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب .. فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار .. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه .. فقال : «أين فلان وفلان» ؟ قالا : نحن ذان .. يا رسول الله .. قال : «أنزلا .. فكلا من جيفة هذا الحمار » قالا : يا نبي الله !!غفر الله لك .. من يأكل من هذا ؟ فقال: « ما نلتما من عرض أخيكما آنفاً .. أشد من أكل الميتة .. لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتهم ؟،والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها ».البخاري

والمرأة المخزومية بعدما قُطعت يدها رأتها امرأة أسيد بن حضير فوضعت لها طعاماً ، فذكر أسيد ذلك للنبي فقال :« رحمتها ..رحمها الله »

وعندما استشعرت المخزومية الندم على ذنبها ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت : هل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : « أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » .

وعاشت بين المجتمع بعد ذلك مكرمة وتزوجت برجل مسلم دون أن يجرحها أحد بكلمة أو يعايرها بماضيه.

بعض من الدرر والجواهر لاكتساب الأخلاق

وقد ذكرها الأستاذ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي
في كتابه (الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها)

•عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به ، وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها .

•لا يسوغ لك أن تتخذ ظروفك عذراً لك في الإساءة للآخرين وإذا أساء إليك أحد فلا تتخذ ذلك سبباً في الإساءة إليه.

•لا تكتف بنقد الآخرين وتنس نفسك ، بل اشتغل بنقد نفسك أولاً لأنك مكلف بها أولاً ، ثم اشتغل بإصلاح الآخرين .

•لا تقبل من نفسك ما تذم به الآخرين.

•لا يكن همك بإصلاح أعمالك الظاهرة فقط ، بل اشتغل بإصلاح دوافع نفسك للأعمال الصالحة.

•إذا أردت الاجتهاد في تحصيل الأخلاق الحميدة، فعليك أن تعلم فضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة؛ لتعرف أي شيءٍ تطلب.

•تكاد نفسك أن تكون كالمرآة، يظهر فيها أخلاق من تصاحب وأفكار من تقرأ ؛ فاختر الطيب من ذلك دائماً.

•لا يغرنك حسن أخلاقك في الرخاء، حتى تجرب نفسك في أوقات الشدة والغضب ،فإن اطرد فاعلم غ أنه ليس لك كبير فضل في وقت الرخاء.

•بإمكانك التعرف على حقيقة أخلاقك بالنظر إليها في الحالات الآتية:

ـ إذا خلوت ـ وإذا غضبت ـ وإذا احتجت

ـ وإذا استغنيت ـ وإذا قدرت

•ينبغي أن تعلم أن أقل ما عليك أن تعامل الناس به ، العدل

والإنصاف من نفسك، وإذا احتاج الناس إلى قاضٍ يأخذ لهم الحق منك ؛ فأنت رجل سوء.

•ينبغي في سبيل تحصيل الأخلاق الصالحة أن تفكر أولاً في فضلها.

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر عاقبتها في الدنيا والآخرة.

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر شؤم تركها في الدنيا والآخرة .

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر أنه لا خير في ذميم الأخلاق لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فإن لم ينفعك ذلك؛ فاعلم أنه لا طب فيك إلا بمراجعة فطرتك وإيمانك بالله والرجوع إليه.

•من أشد الأخطاء خطراً خطأ المخلصين إذا نسبوه للدين ، أو ارتكبوه على أنه من الدين ، لأن صاحب الخطأ في هذه الحال يؤيد خطأه ـ جهلاً ـ بالدين أو بالكتاب والسنة. ولو أخطأ فقط ، ولم يدع أن فعلم من الإسلام أو لم يحمله الآخرون على أنه كذلك ، لكان أخف بكثير.

•ينبغي أن تتعلم الأخلاق الفاضلة وذلك بدراستها نظرياً من مصدرها الصحيح، والتعود عليها بتطبيقها ومحاسبة النفس عليها ومصاحبة أهلها ، وتكرارها المستمر وملازمتها.

•كن مع الناس كالنحل ، الذي يقع على أحسن الزهور فيجتني منها ما يفيده ، وما يخدم به الناس ، ولا تكن كالذباب الذي يقع على أقذر الأشياء وينشرها في الناس ويؤذي به الأحياء.

•أنت أعرف بنفسك ، فلا تغتر بمدح الناس إذا مدحوك.

•اجتهد ألا تكون طفلاً فقد رأيت أطفالاً في الخمسين من عمرهم .

•الرئاسة لا يتكمل بها إلا ناقص ، ولا تزيده إلا نقصا.

•من جهل معرفة الفضائل، فليعتمد على ما أمره الله ورسوله .